

## الامام الشعراني الأزهرى المحدث

### نسبه ومولده

هو عبدالوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن زوقا بن الشيخ موسى المكنى بأبي العمران بن السلطان أحمد بن السلطان سعيد بن السلطان فاشين بن السلطان محيا بن السلطان زوقا بن السلطان ريان بن السلطان محمد بن موسى بن السيد محمد بن الحنفية بن الامام علي بن ابي طالب رضوان الله تعالى عليه .

فهو من أصل علوي هاشمي ، ومن بيت طيب طاهر جمع مع عراقه النسب وشرف المحتد سمو النشأة وطهارة المنزع وعظيم الصلة بالله سبحانه وتعالى فرفرف علم التصوف الاسلامي على هذه الدوحة الشريفة التي أخرجت الى العالم الاسلامي أبطالاً كباراً ، وأمجادا عظاماً ، جمعوا بين الملك والتصوف ، وما كان الملك بأبهته وعظمته ليصرفهم عن العلم أو يباعد بينهم وبين الدين وماكان التصوف بمجاهدته وزهادته ليصرفهم عن الملك والولاية ، وإدارة شئون الحياة ، وانما استطاع هذا البيت العظيم أن يرتفع في الحياة بما له من خصائص وبما امتاز به من سمات الايمان والرشاد . ولقد تحدث الشعراني مؤرخاً لنفسه فقال :-

« أحمد الله تعالى حيث جعلني من أبناء الملوك فإنني بحمد الله تعالى عبدالوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن زوقا ابن الشيخ موسى المكنى في بلاد البهنسا بأبي العمران جدى السادس السلطان أحمد بن السلطان سعيد بن السلطان فاشين بن السلطان محيا ابن السلطان زوقا بن السلطان ريان بن السلطان محمد بن موسى بن السيد محمد بن الحنفية بن الامام علي بن ابي طالب رضى الله عنه .

وكان جدى السابى ذى هو السلطان أحمد سلطانا بمدينة تلمسان في عصر الشيخ ابي مدين المغربي ولما اجتمع به جدى موسى قال له الشيخ ابو مدين لمن تنتسب ؟ قال والدى السلطان أحمد فقال له : انما عنيت نسبك من جهة الشرف ، فقال : انتسب الى السيد محمد بن الحنفية وقد كانت ولادة الشعراني على أصح ما روى في ٢٧ من شهر رمضان عام ٨٩٨ هـ في بلدة قلقشندة وهي قرية جده لأمه ثم انتقل بعد أربعين يوما من

ولادته الى قرية أبيه التي كانت نسبته اليها وهي قرية من قرى مصر ، وقيل ولد بها ثم انتقل الى القاهرة سنة إحدى عشرة وتسعمائة .

### نشأته

---

نشأ الشعراني يتيما من الأبوين فكان الله وليه ونصيره ، وعونه وملجأه وقد حفظ القرآن الكريم فى باكورة طفولته بالقرية كما حفظ أبو شجاع والأجرومية ودرس هذين الكتابين على أخيه الشيخ عبد القادر بعد وفاة والده ، وكان قانعا لم تطمع نفسه الى زخرف الحياة الدنيا ، ولم يمتد نظره الى مباحها أو مناصبها ، فلم يتول منصباً ولم يرتبط بعمل دنيوى وانما كانت وجهته خالصة لله سبحانه وتعالى ، وقناعته هذه جعلته يزهد فيما عند الناس فأورثه ذلك عزة بالغة ، وحبا فى الله ، واستغراقا فى العبادة اعتمادا على الله وحده وتوكلا صادقا على من بيده ملكوت السماوات والأرض وهو على كل شىء قدير .

وهذا التوكل الذى نهجه الشعراني كان سبباً فيما يأتیه من رزق من حيث لا يحتسب . وقد بين ذلك من منن الله عليه « انه لم تكن هناك عوائق دنيوية تعيقنى عن طلب العلم والعبادة . وكانت القناعة من الدنيا باليسير سداى ولحمتى ، وهذه القناعة أغنتنى عن الوقوع فى الذل لأحد من أبناء الدنيا ، ولم يقم لى أننى باشرت حرفة ولا وظيفة لها معلوم دنيوى من منذ بلغت ولم يزل الحق تعالى يرزقنى من حيث لا أحتسب الى وقتى هذا ، وعرضوا على الألف دينار وأكثر فرددتها ولم أقبل منها شيئا وكان التجار والكبراء يأتون بالذهب والفضة فأنثرهما فى صحن جامع الغمري فيلتقطه المجاورون » .

انها الزهادة الصادقة ، والعزوف الحق عن نفع الحياة وطيباتها فلقد استبدل بها طيبات ما عند الله ، وما عند الله خير وأبقى .

وإذا نظرنا الى بداية الشعراني فى عبادة ربه وتقواه ، وتبتله وتنسكه والسن التى ابتدا منها السير فى طريق ربه مستغرقا فى جلال الربوبية متصوفا ومتنسكا ، ومتعبدا ومتهجدا لوجدنا أمرا عجبا .

انه كان يقوم الليل وهو فى الثامنة من عمره ، وان التذكير بالعبادة فى مثل هذه السن انما يدل على فطرة ذكية ، وغريزة طاهرة ، وبيئة نقية كريمة .

والى جانب هذا كان ذا المعية نابهة ونبوغ مبكر وولع بتخصيل العلم ومدارسته واستيعابه ، وقبل أن يتم العاشرة من عمره كان قد درس من كتب النحو ما أهله لمجالسة العلماء ، يساعده على ذلك بصيرة نيرة واشراقات روحية وحافظة واعية تقويها تقوى الله سبحانه وتعالى فهو الذى يعينه ويساعده على العلم واتقوا الله ويعلمكم الله »

وبعد أن مات أبوه كفله أخوه الشيخ عبد القادر وكان عالما يكن لأخيه كل حب وإعجاب وتقدير وإخلاص أحاط عبد القادر أخاه الشعرانى بعظيم العناية الكاملة

ويتحدث الشعرانى عن تلك الفترة التى حضر فيها الى القاهرة فيقول :

« كان مجيئى الى القاهرة افتتاح سنة عشرة وتسعمائة ، وعمرى إذ ذاك اثنتا عشرة سنة فى جامع سيدى أبى العباس الغمرى وحنن الله على شيخ الجامع وأولاده فمكثت بينهم كائى واحد منهم أكل ما يأكلون وألبس ما يلبسون ، فأقمت عندهم حتى حفظت متون الكتب الشرعية على الأشياخ ولم أزل بحمد الله محفوظ الظاهر من الوقوع فى المعاصى عزيزا عند الناس ، يعرضون على كثيرا من الذهب والفضة فتارة أردتها وتارة أطرحها فى صحن الجامع فيلتقطها المجاورون .

ويذكر المؤرخون أن الشعرانى حضر من قريته الى الأزهر حيث قضى خمس سنوات يتلقى العلم والمعرفة على يد شيخه « على الشونى » ثم انتقل بعد ذلك الى مسجد الغمرى بناء على مشورة شيخه على الشونى .

ومسجد الغمرى هذا كان فى تلك الحقبة بمثابة معهد علمى يجمع بين التعليم وإجراء الأبحاث من الأوقاف والهبات وتخصص للعلم فيها ، وقد ظل فى هذا المسجد سبعة عشر عاما ثم انتقل الى مدرسة أم خوند ويقول على مبارك متحدثا عن تلك الفترة من حياته « ولقد راض الشعرانى نفسه على النهج الصوفى وهو فى جامع الغمرى . فطار ذكره وذاع فى الناس أمره وكان شيخه على الشونى قد أذن له فى أن يرتب بهذا المسجد مجلسا للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أولاد الغمرى أكل قلوبهم الحسد على تلك المكانة العالية ، فظفروا بها الشعرانى فطلبوا منه أن يغادر مسجدهم .

ثم حط رحاله بمدرسة أم خوند وأقام تجاهها ستة أيام فرأى فى منامه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن له بالاقامة بها فدخلها مع أسرته .

## طلبه العلم

عرفنا فيما سبق نشأة « الشعراني » وانقطاعه الكامل لله سبحانه وتعالى وكان يبكر بتحصيل العلم ومطالعة كثير من الكتب واستيعابه لها وهو لم يزل في سن الصغر ومثل هذه النشأة الغذة من التوفيق العجيب والنبوغ المبكر والعناية الملزمة له من الله سبحانه وتعالى تدل على ان شخصيته العلمية والصوفية قد أخذت مكانتها منذ الصغر حتى أصبحت في منزلتها المرموقة وان الرجل لم يكتف بما كان عليه من نباهة الذكر والعناية والتوفيق وانما اخذ يجاهد في سبيل العلم ويهاجر من اجل تحصيله فيها هو ذا يهاجر من قريته الى القاهرة يعيش في المساجد ليله ونهاره في تبتل وتعبد والهجرة في سبيل العلم لها عند الله مكانة عظيمة ولصاحبها يوم القيامة منزلة جليلة فمن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا الى الجنة .

والهجرة في سبيل العلم حين تتمحض فيها النية لله سبحانه وتعالى ولرسوله فهي لله وحده وهكذا من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه » وفي طلبه العلم اتصل بخيرة علماء القاهرة جلال الدين السيوطي وزكريا الأنصاري وناصر الدين اللقاني والرملي والسمنودي وقد عرف منذ نشأته العلمية باحترامه لشيخه وإجلاله لهم بقلب مخلص وتواضع جم وأدب حسن ونفس تتسع لشتى جوانب العلم والمعرفة فقد درس التصوف والفقه والحديث والتفسير واللغة والأصول فتفتحت مداركه العقلية لكل معارف عصره العلمية وقد تحدث الشعراني عن دراسته فقال : ثم لما جئت الى مصر حفظت كتاب المنهاج للنووي ثم ألفية ابن مالك ثم التوضيح لابن هشام ثم جمع الجوامع ثم ألفية العراقي ثم تلخيص المفتاح ثم الشاطبية ثم قواعد ابن هشام وغير ذلك من المختصرات وحفظت هذه الكتب حتى صرت أعرف متشابهاتها كالقرآن من جودة الحفظ ثم ارتفعت الهمة الى حفظ كتاب الروض مختصر الروضة لكونه أجمع كتاب في مذهب الشافعي فحفظت منه الى باب القضاء على الغائب وهو في أواخر الكتاب فلقيني بعض ارباب الأحوال بباب الخلق خارج باب زويلة فقال لي مكاشفا قف على باب القضاء على الغائب ولا تقض على غائب بشيء . فما قدرت بعد ذلك على حفظ شيء منه لكنني طالعت الكتاب ودرسته نحو مائة مرة وكنت أقرأ محفوظتي للمتن في الشرح وأنظر كل شيء توقفت في فهمه حتى صار شرحه للشيخ زكريا عندي نصب

عيني ثم لقيني الشيخ احمد البهلول رضى الله عنه فقال لى مكاشفا أقبل على الاشتغال بالله ويكفيك من العلم ماقد تعلمته فشاورت فى ذلك مشايخى فقالوا لا تدخل طريق القوم الا بعد شرح محفوظاتك كلها على الأشياخ فاذا فهمتها وتبحرت فيها فعليك بطريق القوم .

وقرات محفوظاتى على شيوخى وهم نحو خمسين فقرأت على الشيخ أمين الدين شرح المنهاج للجلال المحلى وكنت أطلع على درسى هذا القوت للأذرى والقطعة والتكملة للأسنوى والزركشى والقطعة للسبكي والعمدة لابن الملتن وشرح ابن قاضى شبهة وشرح الروض للشيخ زكريا الأنصارى وأكتب زوائد هذه الكتب على الشيخ جلال الدين والصق فيها أوراقا حتى ربما تصير الحواشى أكثر من الكتاب حتى أقرأها كلها عليه وقرأت عليه أيضا شرح جمع الجوامع للشيخ جلال الدين وحاشية الشيخ كمال الدين وشرح العراقى للجلال الحافظ السخاوى .

وهكذا يتضح لنا أن الشعرانى قد أحاطت دراساته الواعية المستفيضة بكثير من المعرفة والعلم وأنه قد احاط علما بكثير من الكتب فى مختلف انواع الثقافة والمعرفة وكان فى كل ذلك يلم بدقائق العلوم وأسرارها . وهذا شأن المخلص لثقافته البصير بعلوم شريعته ولغتها والذي أوتى من نفاذ البصيرة وتقوى القلب ما جعل له حظا وافرا من تعليم الله سبحانه وتعالى له الذى يفتح على أحبائه وأصفياؤه ويلهمهم من أنوار علمه ما يضىء لهم طريق الحياة وبذلك يقفون على معارف دقيقة وعلوم عظيمة يتفضل الله عليهم بها .

## الشعراني وعلم الحديث

وقد حبيب الى الامام الشعراني علم الحديث حبا جما فلزم الاشتغال به والأخذ عن كبار المحدثين وألف في الحديث فاختصر السنن الكبرى للامام البيهقي كما ألف كتاب « كشف الغمة » وقد قرأ الشعراني على الشيخ نور الدين الجارحي شرح ألفيه العراقي كما قرأ على القسطلاني كل المواهب وغالب شرحه للبخاري ومن أهم مؤلفاته في الحديث كتابه « كشف الغمة عن جميع الأمة » وقد وضع الامام الشعراني الباعث له على تصنيف هذا الكتاب وهو وقوع جماعات من المتصوفين في حدة بسبب اختلاف العلماء وإلحاحهم عليه ان يدون كتابا يشمل على أدلة المذاهب الأربعة المشهورة وغيرها من صريح السنة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين من أقوال المجتهدين التي لم تصرح بأحكامها الشرعية ليعرفوا ما شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم ويعملوا به فهو الذي يسألون عنه أمام الله تعالى فاستجاب لهذه الرغبة وشرع يجمع في أحاديث الشريعة وأثارها .

## مكانته العلمية

في مدرسة « أم خوند » بعيدا عن ضوضاء الحياة ، ولهوها ، وبعيدا عن فتن الناس ودسائسهم ، استقر المقام بالشعراني وأقبلت عليه أيام المنن ، وأخذ مجده العلمي تتسع جوانبه ، وأخذ مجده الصوفي يمتد أبعاده .

انه أقام في تلك المدرسة مجالس للعلم ، وأخرى للعبادة ، وابتدأ طلاب العلم ، وعشاق المعرفة يلتفون حوله ويعبون من منهله كما أخذ المريدون وأهل الحب الإلهي والتصوف يقصدونه لالتماس البركة والانتفاع بمجلسه .

وذاع صيته ، وانتشر ذكره وارتفع علمه بين الأرجاء فأمه الكثيرون من الأمراء وأصحاب الوجاهة .

وصار زعيما شعبيا له كلمته وله صوته المسموع في مصر وأصبح مطاعا في استانبول عاصمة الاسلام ، ومقر الخلافة آن ذاك .

وحيثما جاء السلطان سليم الى مصر - وهو خليفة العالم الاسلامى يومئذ التف حوله  
الأمراء والكبراء ، والعلماء والفقهاء كل يلوذ به ويسير فى ركابه ويحف به ، مقدمين له  
التقدير اللازم والاحترام المطلوب ، الا ان الشعرانى ظل لايسعى إلى الخليفة ولايذهب  
الى ركابه ولم يتقدم منه مثل غيره ، انه لم يرد ان يقدم للسلطان ماقدموه من آيات الولاء  
حفظا على كرامته كعالم ، وصونا لعزته كمؤمن ، واحتراما لمكانته كرجل عابد يقتدى به  
الكثير ، إنه إذن يرى أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

بقى الشعرانى مكانه ، فضرب مثلا رائعا فى مكانة العلم والعلماء تلك المكانة التى من  
أجلها تبسط الملائكة أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وهى أيضا التى بسببها سيرفع  
الله ذكره ويرفع قدره .

وكانت الكرامة العظيمة التى يكرم الله سبحانه دائما وأبدا بها أوليائه ، وأحباؤه ،  
وأصفياه .

فلئن لم يذهب الشعرانى الى السلطان كما ذهب الكثيرون ، فإن السلطان قد أحس  
بمكانة الرجل وعلم درجته ، وتعرف على طريقه فماذا ترى السلطان اذن يفعل ؟

وماذا سيكون موقف الشعرانى وقد علم أن السلطان على علم بتخلفه عن المجيء اليه ؟  
انه ظل فى مكانه كما هو حتى جاء السلطان نفسه وشق طريقه الى الشعرانى فى موكب  
حاشد : وجمع غفير يخيم على الأمراء العجب وعلى الناس الغرابة ، ولكن حين يعلمون ان  
للعلم مكانة يرفع الله بها أصحابه الذين صانوه ، وأن للتقوى منزلة يعز الله بها أصحابها ،  
حين يعلم الناس ذلك لايعجبون .

إنه يوم تارخى حقا لهذين الرجلين ، ومن هذا اليوم لم يعص حاكم للشعرانى أمرا ، ولم  
يرد له طلبا بعد ما رأى من مكانته ، وعرف من منزلته .

وكان لزاوية الشعرانى دور هام فى القرن العاشر الهجرى من الناحية العلمية والتعبدية  
وكان لها أثر كبير فى الداخل عملا وعلمًا وعبادة ، وأثر عظيم فى المجتمع المصرى ،  
فصارت مدرسة للعلم والتعليم ، وزاوية للعابدين والمتصوفين ومسجدا للنسك والصلاة ،  
وقد اوقف القاضى محبى الدين اوقافا كثيرة على تلك الزاوية .

وقد سارع الأمراء والسادة يوقفون عليها أملاكهم وأموالهم وينفقون عليها الكثير من المنح والهدايا لما رأوا ماتقوم به من رسالة سامية ومن تعاليم كريمة .

وتوالى طلاب العلم ، وعشاق المعرفة على تلك الزاوية يؤمنونها ويأتون اليها ينهلون من علومها ومعارفها ، ويدرسون فيها العلوم الشرعية والعربية وغيرها كما أقبل عليها كثير من المريدين الذين يشقون طريقهم لله على هدى وبصيرة وقد كفل الشعراني للطرفين من طلاب العلم ، ومن المريدين الراحة والمعيشة ، وهياً جواً علمياً كريماً . وجواً روحياً صافياً فى ذلك الوقت .

وهكذا استتبت الحياة واستقرت داخل الزاوية وقامت برسالتها خير قيام ، وصارت لها ميزانية كبيرة ، تقوم بتوفير المعيشة ، وتدبير أمور الحياة للطلاب والمريدين ، محاولاً إتمام الحياة بنعمها على تلاميذه وأبنائه فمن لم يتزوج عمل على تزويجه ، ومن لم يحج عمل على أدائه فريضة الحج .

وامتدت رسالة الزاوية الى خارج الطلاب والمريدين ، الى سائر الفقراء والمحتاجين .

وبهذا استطاعت الزاوية أن تؤدى رسالة العلم والتصوف على أكمل الوجوه وتحولت الزاوية إلى اذاعة ملائكية تتصل فيها قراءة القرآن ليلاً ونهاراً وتتسع مجالس العلم فيها ، ومجالس الذاكرين ، انها أصبحت كما يقول الشبلى المؤرخ .

إنه لم ير فى مشارق الأرض ومغاربها خيراً من زاوية الشعراني علماً وفضلاً وتصوفاً وأدباً .

إن الشعراني قرأ كثيراً من العلوم والمعارف ، وحفظ واستوعب كثيراً من الثقافات الا أن ذلك كله لم يأت ولم يكن شيئاً مذكوراً بجانب العلم الغزير الذى منحه الله له ، وفتح به عليه .

فلقد فتح الله عليه من أبواب المعرفة والعلم الشئ الكثير ، وذلك حين أخذ العهد على شيخه الخواص ولقنه الذكر والأوراد واخبره بما سيكون عليه شأنه من فتح الهى عظيم .



ولما فتح الله عليه عرض على شيخه ما رأى فقال له :

تم امرك وعلا شأنك وروى قلبك فابق على ماتكتب فسجل الشعرانى تلك الفيوضات فى كتابه : « الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية »

وقد اقبل الشعرانى على التأليف والكتابة فى كثير من فروع العلم والمعرفة ، فى شتى علوم التصوف والفقه والأصول والتفسير والحديث والنحو والطب والكيمياء والأخلاق وغيرها واستغرق بعضها خمس مجلدات

ويتحدث شيخ الاسلام الفتوحى الحنبلى عن مكانته العلمية قائلاً : ان الشعرانى قد أحاط من العلم بما لم يحط به . وقد قرأ من الكتب ما لا يعرف له اسما ، وإنه لو ادعى تأليفها ما وجد فى مصر منازعا .

وكثرة توجيهه وتقريره لجميع مذاهب المجتهدين وتأليفه كتباً كثيرة ابتكرها ولم يسبق إليها ، واجازة العلماء من اهل المذاهب الأربعة لمؤلفاته .

يتبين ذلك كله بما وضعه فى كتابه المنن اذ يقول :

ومما من الله تبارك وتعالى به على مطالعتى لكتب أئمة المذاهب الثلاثة زيادة على مذهبى وذلك اننى لما تبجرت فى مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وأرضاه احتجت الى معرفة المسائل المجمع عليها بين الأئمة ، أو التى اتفق عليها ثلاثة منهم وذلك لأجتنب العمل بما منعه وأمتثل أمرهم فيما أمرونا به وان لم يكن مذهبى فأعمل لما أجمعوا عليه أو اتفق عليه ثلاثة منهم على وجه الاعتناء والتأكيد أكثر مما انفرد به واحد أو اثنان لأن ما أجمعوا عليه ملحق بنصوص الشارع صلى الله عليه وسلم ، فمما طالعته فى كتب الحنفية شرح الكنز وشرح مجمع البحرين والحدادى وفتاوى قاض خان وشرح القدورى والبزازیة والخلاصة وشرح الهداية وتخريج أحاديثها للحافظ الزيلعى وهو كافل بأدلة الحنفية كلها وكنت أراجع فى مشكلات هذه الكتب الشيخ نور الدين الطرابلسى والشيخ شهاب الدين الشلبى والشيخ شمس الدين الغزى الكبير وغيرهم رضى الله تعالى عنهم .

وطالعت من كتب المالكية المدونة الكبرى ثم اختصرتها وهي عشرة مجلدات وطالعت كتاب الموطأ وشروح رسالة ابن أبي زيد وشرح مختصر الشيخ خليل وكتب ابن عرفة وابن فرحون وكانت مطالعتي للمدونة بإشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أراجع في مشكلات هذه الكتب الشيخ شمس الدين اللقاني والشيخ شرف الدين الحطاب والأخ الصالح الشيخ عبدالرحمن الأجهوري وغيرهم رضى الله تعالى عنهم .

وطالعت من كتب الحنابلة الخرقى وعدة مختصرات قالوا ولم يدون الامام أحمد له مذهبا وإنما مذهبه الآن ملفق من صدور أصحابه فإنه كان مذهبه الحديث وكان يقول أستحي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتكلم فى معنى كلامه فقد لا يكون ذلك مراده ، وكان رضى الله تعالى عنه يقول : او لأحد كلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وبلغنا أنه وضع فى أحكام الصلاة نحو ثلاثين مسألة . ومما يبرز لنا مكانه العظيم فى أنه منح الفهم فى كتاب الله تعالى يستخرج من كنوزه المكنونة ، ومن نفائسه المصونة كثيرا من العلوم والمعارف التى تنفتح له آفاقها اللدنية ، وهذا من خصوصيات الذين كشف الله لهم الحجب ومنحهم من فيوضاته الشىء الكثير

يقول الشعرانى عن ذلك ( ١ ) :

ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على أنه تعالى أعطانى الفهم فى القرآن العظيم وهو مقام عظيم قل من أعطيه من الفقراء « وكان سيدى ابراهيم المتبولى يقول أعطيت استخراج العلوم من القرآن العظيم من فقه وأصول ونحو ومعان وبيان وجدل وعروض وغير ذلك فلو جلس الى منصف نظيف القلب من الأدناس خال من الحسد لبينت له مادة كل علم وأوضحته له ذلك حتى لايبقى عنده فى ذلك شك ولكن السالم مما ذكرناه قليل وجوده »

وأیضا فمما منحه الله تعالى من العلم استوعب المذاهب الأخرى كما يقول :

ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على كثرة توجيهى وتقريرى لجميع مذاهب المجتهدين حين تبهرت فى علومهم حتى كأنى فى حال تقريرى لها واحد منهم وربما ظن الداخل على وأنا أقرر فى مذهب ذلك الامام أننى حنفى او حنبلى او مالكى والحال أننى مقلد للامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه وذلك لاحاطتى بمنازع أقوال الأئمة رضى الله تعالى عنهم وإطلاعى على أدلتها وربما قال بعض المتهورين عنى ان فلانا لايتقيد بمذهب على وجه الذم والتنقيص والحال أننى انما أقرر مذاهب الأئمة لوسع اطلاعى لاتهمورا فى الدين وتتبعاً للرخص وأصل ذلك انى لما صنفت كتب أدلة المذاهب ورأيت جميع المجتهدين لا يخرجون عن السنة فى شىء وإنما هم بين مشدد ومخفف فمنهم من أخذ بصريح الحديث او القرآن ومنهم من أخذ بمفهومهما ومنهم من أخذ بما استنبط منهما ومنهم من أخذ بما استنبط من ذلك المفهوم ومنهم من أخذ بالقياس الصحيح على الأصل الصحيح فكأن مذاهبهم رضى الله تعالى عنهم منسوجة من الشريعة المطهرة سداها ولحمتها منها

وقد وضعت فى الجمع بين أقول الأئمة رضى الله تعالى عنهم أجمعين ميزانا نرجع جميع مذاهب المجتهدين وأقوال مقلديهم الى الشريعة المطهرة لم أجد لها ذائقاً من أهل عصرى وقد استعأرها الشيخ شهاب الدين الشلبى الحنفى فمكث عنده أياماً ثم أتانى بها وقال هذه خصوصية لك فإنى لم أقدر أخرج عن دائرة كلام مذهبي فقلت له فهل هى باطلة فقال صولة كلامها ليست بصولة مبطل انتهى وقد عرضتها على سيدنا ومولانا أبى العباس الخضر عليه السلام فأجازها وقال لى : هذا أمر لا يحيط به إلا من نظر الشريعة بعين الكمال واطلع على العين التى يتفرع منها كل مذهب وقليل من أولياء الله تبارك وتعالى من أحاط بذلك .

وللشعرانى إنتاج علمى واسع ، وثقافة دينية عظيمة ، صنف من الكتب كتباً لم يسبق إليها وإنما ابتكرها ، مما يدل على سعة أفقه ، وكثرة مداركه ، وقوة شخصيته العلمية ...

يقول : (١) ومما من الله تبارك وتعالى به على تأليفى كتباً كثيرة فى الشريعة وغالبها ابتكرته ولم أسبق إليه وذلك ككتاب البحر المورود فى المواثيق والعهود وكتاب كشف الغمة عن جميع الأمة جمعت فيه أدلة المذاهب الأربعة من غير عزو الى من خرجها من الحفاظ اكتفاء بعلم أهل كل مذهب بمن خرج دليلهم ثم صنفت بعده كتاب المنهج المبين فى بيان

---

(١) المتن : للشعرانى .

أدلة المجتهدين عزوت فيه كل حديث الى من رواه فكان كالتخريج لأحاديث كتاب كشف الغمة وكتاب البدر المنير فى غريب أحاديث البشير النذير وكتاب مشارق الأنوار القدسية فى بيان العهود المحمدية جمعت فيه أحاديث الترغيب والترهيب وجعلته على قسمين مأمورات ومنهيات فدخل فى المأمور المندوب ودخل فى المنهى المكروه وهو كتاب نفيس وصنفت كتاب لواقح الأنوار القدسية فى مختصر الفتوحات المكية وكتاب الصوفية وكتاب مختصر قواعد الزركشى وكتاب منهاج الوصول الى علم الأصول جمعت فيه بين شرح الجلال المحلى لجمع الجوامع وحاشية ابن أبى شريف وكتاب اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر وكتاب الجواهر المصون فى علوم كتاب الله المكنون وهو مشتمل على نحو ثلاثة آلاف علم منثورة على سور القرآن وكتاب طبقات الصوفية وهى من أبى بكر الصديق رضى الله عنه الى ختام سنة ستين وتسعمائة ذكرت فيه مناقب كل من كان له كلام أحفظه فى الحقيقة او الشريعة لاغير وذكرت فيه العلماء الأحياء والفقراء الأحياء الذين وقع لى بهم صحبة ومما صنفته كتاب مفحم الأكباد فى بيان مواد الاجتهاد ، وكتاب حد الحسام على من اوجب العمل بالالهام ، وكتاب التتبع والفحص على حكم الالهام إذا خالف النص ، وكتاب البروق الخواطف لبصر من عمل بالهواتف ، وكتاب رسالة الأنوار فى آداب « العبودية » وكتاب كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان وهى نيف وسبعون سؤالاً فى التوحيد سألتنى عنها علماء الجان ، وكتاب فرائد القلائد فى علم العقائد ، وكتاب الجواهر والدرر جمعت فيه ماسمعتة من العلوم والأسرار من سيدى على الخواص رحمه الله تعالى ، وكتاب الكبريت الأحمر فى بيان علوم الكشف الأكبر ، وكتاب الاقتباس فى علم القياس وكتاب تنبيه المغترين فى القرن العاشر على ماخالفوا فيه سلفهم الطاهر وغير ذلك مما سرت به الركبان .

وقد بين صاحب المناقب الكبرى أن مصنفات الامام الشعرانى جاوزت الثلاثمائة كتاب فى شتى أنواع العلوم كالتفسير والحديث والفقه والتصوف والطب واللغة ومن أشهرها : الطبقات الكبرى والميزان فى الفقه المقارن واليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر ولوامع الأنوار القدسية فى بيان العهود المحمدية ، ولطائف المنن والأخلاق الى غير ذلك .

وقد أجاز العلماء من أهل المذاهب الأربعة لمؤلفاته ومدحوها وأثنوا عليها أطيب الثناء مما يدل على عظمتة العلمية .

وقد حاز الشعرانى حب أشياخه ورضاهم تلك نعمة عظيمة من نعم الله تعالى عليه لأن هذا الرضا من الأشياخ عنوان على رضا الله لأنهم واسطة بين العبد وبين ربه فى السلوك .

ومما يشهد بالمكانة العلمية له قول كثير من المستشرقين كقول فولدرز :

إن الشعراني كان من الناحية العلمية والنظرية محدثاً من الطراز الأول وكان في الوقت نفسه كاتباً بارزاً أصيلاً في ميدان الفقه وأصوله وكان مصلحاً لا يكاد الإسلام يعرف له نظيراً وإن كتبه التي تجاوزت السبعين عدا من بينها أربعة وعشرون كتاباً يعتبر ابتكاراً محضاً أصيلاً لم يسبق إليه أبداً ولم يعالج فكرتها أحد قبله .

ويقول المستشرق ماكدونالد : إن الشعراني كان رجلاً ذاكراً نفاذاً مخلصاً واسع العقل .